مُقدِّمة

الحمد لله الذي بفضله تتم النعم والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فكان من العوامل المهمة في قيام الدولة الأموية هو اعتماد الخليفة معاوية ابن أبي سفيان(رضي الله عنه)– مؤسس الدولة – على رجال وقادة أفذاذ أمثال عمرو بن العاص وزياد بن ابيه والمغيرة بن شعبة – موضوع البحث – ولعل رغبتي في التعرف على شخصية المغيرة بن شعبة ودوره في قيام الدولة الأموية كانت من اهم الدوافع لكتابة هذا البحث الموسوم (المغيرة بن شعبة ودورهُ في قيام الدولة الأموية وتثبيت أركانها)، وعليه قسمت البحث إلى أربعة مطالب كان المطلب الأول سيرته والمطلب الثاني سعيه في ضم زياد بن أبيه إلى جانب الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وذكرت في المطلب الثالث دوره في التصدي للخوارج، بينما خصص المطلب الرابع للحديث عن دوره في التصدي لحجر بن عدي وغيره من المعارضين، ثم تناولت الرواية التي تقول أن المغيرة بن شعبة كان صاحب فكرة توريث الخلافة ليزيد بن معاوية.

المطلب الأول

سيرته

هو الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي[١]، نسبة إلى ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن في الطائف[٢].

اسلم المغيرة بن شعبة عام الخندق سنة ٥هـ /٦٢٦م فشهد عمرة الحديبية وبيعة الرضوان ٦هـ/٦٢٧م[٣]، وفي سنة ٩هـ / ٦٣٠م بعثه النبي (ﷺ) مع ابي سفيان بن حرب (رضي الله عنهما) لهدم صنم اللات في الطائف[٤]، مما يشير إلى أنه كان محل ثقة ومكانه في الإسلام منذُ إسلامه.

وفي العصر الراشدي لم يكن المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) منزوياً عن أنظار الخلفاء الراشدين، إذ أُسند إليه كثيراً من المهام، ففي خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) استعمله الخليفة عمر أكثر من مرة مما يدل على حسن ثقته به، ومما هو معروف عن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أن استعماله للولاة والقادة ليس أمراً سهلاً عنده، فكان لا يستعمل إلا من تتوفر فيه مزايا كثيرة منها القوة والأمانة والعلم والبصيرة والشفقة بالرعية، ووفق هذه الثوابت استعمل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) المغيرة

(١) ابن حجر، شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ): الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، (بيروت د.ت)، 6/131.

(٢) السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ): الأنساب، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٩٨)، ١٠/٢.

(٣) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ): أُسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط2، دار الكتب العلمية، (بيروت 2003)، 5/238، ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ): البداية والنهاية، تحقيق: مصطفى بن ألعدوي، دار ابن رجب، (القاهرة 2005)، 8/214، ابن حجر: ألإصابة، 6/131.

(٤) الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، دار المعارف، (القاهرة د.ت)، 234/5، ابن عساكر، علي بن حسن بن هبة الله الشافعي (ت571هـ): تاريخ دمشق الكبير، تحقيق: علي عاشور الجنوبي، دار أحياء التراث العربي، (بيروت 2001)، 32/12 ابن كثير: البداية والنهاية، 8/214، ابن حجر: ألإصابة، 6/131.

بن شعبة على البحرين[١] ثم عزله بعد ذلك[٢] ، وبعد وفاة عتبة بن غزوان (رضي الله عنه)[٣]، استعمله الخليفة عمر (رضي الله عنه) على البصرة فبقى عليها سنتين[٤] ، نظم فيها شؤونها "... وكان المغيرة أوّل من وضع ديوان البصرة وجمع الناس ليعطوا عليه"[٥].

وفي سنة ٢١هـ / ٦٤١م ولى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) المغيرة بن شعبة الكوفة "... فلم يزل عليها حتى مات عمر"[٦]، ثم أقرّه الخليفة عثمان بن عفان عفان (رضي الله عنه) على الكوفة ثم عزله بعد ذلك[٧].

ولم يكن دور المغيرة بن شعبة الجهادي في الفتوح والمعارك بأقلَّ من دوره السياسي والإداري في إدارة البصرة والكوفة، إذ شهد فتوح ومعارك عدّة منها معركة اليرموك سنة ١٣هـ/٦٣٣م التي فقد فيها أحدى عينيه وكذلك في حرب اليمامة وفتوح الشام والعراق[٨]، وعندما ولاه الخليفة عمر (رضي الله عنه) البصرة فتح ميسان[١]، وفي سنة

(١) وهي بلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعُمان فيها عيون ومياه بينها وبين اليمامة مسيرة عشرة أيام، صالح أهلها العلاء بن عبد الله الحضرمي عندما بعثه النبي (ﷺ) إلى البحرين سنة ثمان للهجرة (ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت٦٢٦هـ): معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، (بيروت د.ت)، ٢/٢٧٥-٢٧٦).

(٢) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ): سير إعلام النبلاء، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، (القاهرة د.ت)، ٢٠٢/٤ ابن حجر: الإصابة، ١٣٢/٦ الصلابي، الدكتور علي محمد: عمر بن الخطاب شخصيتهُ وعصرُهُ، دار ابن كثير، (بيروت ٢٠٠٥)، ص٤٠٠.

(٣) هو الصحابي عتبة بن غزوان بن جابر المازني، اسلم سابع سبعة في الإسلام وكان من أمراء الغزاة وهو الذي اختط البصرة وانشأها توفي سنة سبع عشرة وقيل سنة خمس عشرة (رضي الله عنه) (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣/١٨٢-١٨٣).

(٤) ابن سعد، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى، دار صادر، (بيروت د.ت)، ٦/٢٠، خليفة ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: الدكتور مصطفى نجيب فواز والدكتورة حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٩٥)، ص٦٩، الطبري: تاريخ، ٣/٥٩٧.

(٥) ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ): المعارف، تحقيق: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، المطبعة الإسلامية، (مصر ١٩٣٤)، ص١٢٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٢/١٣.

(٦) أبن سعد: الطبقات، 6/20، البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ)، فتوح البلدان، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠٠)، ص١٧٠، الطبري: تاريخ، ٤/١٤٤.

(٧) ابن حجر: الإصابة، ٦/١٣١.

(٨) ابن قتيبة: المعارف، ص١٢٨.

٢١هـ / ٦٤١م شهد المغيرة مع وجوه من صحابة النبي (ﷺ) وقعة نهاوند ضد الفرس تحت قيادة النعمان بن مقرّن(*)(٢)، "... وكان على ميّسرة النعمان بن مقرّن، وكان عمر (رضي الله عنه) قد كتب: إن هلك النعمان فالأمير حذيفة [بن اليمان]، فإن هلك فالأمير المغيرة "(٣).

يتبين مما ورد عظم الدور والمهام التي كلف بها المغيرة بن شعبة من الخلفاء ولاسيما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي لم ينساه حتى في خطة أمارة الجيش، ويبدو أن هذا متأتي من الصفات التي اتصف بها المغيرة بن شعبة فقد عُدَّ " ... من رجال الدهر حزماً وعزماً ورأياً ودهاءً"(٤) ، وكان يقال له : مغيرة الرأي(٥)، وروي أن " ... دهاة العرب أربعة معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد "(٦)، وكان " ... لا يقع في أمر ألا وجد له مخرجاً ولا يلتبس عليه أمران ألا ظهر الرأي في احدهما "(٧)، ولهذه الصفات التي حباه الله تعالى بها كان يُقدم في الأمور

(١) ابن حجر: الإصابة، ٦/١٣١-١٣٢.

(*) هو النعمان بن عمرو بن مقرّن المزني من أخيار صحابة النبي (ﷺ)، ولاه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قيادة الجيش في وقعة نهاوند سنة 21هـ ضد الفرس فكان أول شهيد في هذه الوقعة (الدينوري، أبي حنيفة أحمد بن داود (ت282هـ): الأخبار الطوال، تحقيق: الدكتور عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية، (بيروت 2001)، ص192-195).

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ، ص83، الطبري: تاريخ، 4/114-115، ابن الأثير، أبي الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني (ت 630 هـ): الكامل في التاريخ، دار الفكر، (بيروت 1978)، 3/4.

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٩٤، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٢/١٣.

(٤) ابن العماد، عبد الحي بن احمد بن محمد الحنبلي (ت 1089 هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، (بيروت 1986)، 1/245.

(٥) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت 2005)، 2/276، ابن حجر: الإصابة، ٦/١٣١.

(٦) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ): تاريخ الخلفاء، تحقيق: وائل محمد الشرقي، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠٨)، ص١٣٠.

(٧) ابن حجر: الإصابة، ٦/١٣١-١٣٢.

التي تحتاج إلى الحكمة والفطنة والرأي، فاختير رسولاً من سعد بن أبي وقاص إلى رستم قائد الفرس، ثم رسول النعمان بن مقرّن إلى أمير الفرس(١).

ولم ينسَ المغيرة بن شعبة مصالح الناس المهمة فعندما اضطربت أحوال الدولة العربية الإسلامية سنة ٤٠هـ / ٦٦٠م بسبب الخلاف بين الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ومعاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه) كلّف بإمارة الحج وقتذاك(٢).

وفي العصر الأموي لم يكن دور المغيرة بن شعبة هامشياً فبعد أن استتب أمر الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه) سنة ٤١هـ / ٦٦١م استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة(٣)، وظل والياً عليها تسع سنين حتى وفاته سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م، وقد قيل انه توفى سنة إحدى وخمسين أو تسع وأربعين(٤). والراجح انه توفي سنة ٥٠هـ/٦٧٠م وهو ما اتفقت عليه المصادر(٥).

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ١٢/٣٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢١٤/٨ ؛ ابن حجر : الإصابة ، ١٣١/٦-١٣٢ .

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ، ص123، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 3/202، الذهبي: تاريخ الإسلام، 2/277.

(٣) الطبري: تاريخ، 5/166، أبن الأثير: الكامل في التاريخ، 3/207.

(٤) الطبري: تاريخ، 5/234، ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت د.ت)، 5/240.

(٥) أبن سعد: الطبقات الكبرى، 6/20، ابن قتيبة: المعارف، ص128، الطبري: تاريخ، ٢٣٤/٥، الذهبي: تاريخ الإسلام، 2/278، ابن قنفذ، ابو العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت809هـ): الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، المكتب التجاري، (بيروت 1971)، ص63، ابن العماد: شذرات الذهب، 1/245.

المطلب الثاني

سعيه في ضم زياد بن ابيه إلى جانب الخليفة معاوية بن ابي سفيان

سبق لزياد بن ابيه ان تولى فارس للخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) فلما آلت الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان (رضي الله عنه) تحصن زياد في قلعة من قلاع فارس ولم يبايع معاوية بن ابي سفيان، فأشار عليه المغيرة بن شعبة في اتيانه فوافق معاوية "... فقال زياد حين بلغه قدوم المغيرة: ما قدم إلا لأمر ثم أذن له فدخل عليه... فقال زياد: افلح رائد فقال المغيرة: إليك ينتهي الخبر أبا المغيرة [وهي كنية زياد] إن معاوية استخفه الوجل حتى بعثني اليك، ولم يكن يعلم أحداً يمدَّ يده الى هذا الامر غير الحسن وقد بايع معاوية، فخذ لنفسك قبل التوطين، فيستغني عنك معاوية، قال: أشر عليَّ... فأن المستشار مؤتمن، فقال المغيرة:... أرى أن تصل حبلك بحبله وتشخص اليه، قال: ارى ويقضي الله"[١]، فقدم زياد إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)" فسأل معاوية زياداً عمَّا صار إليه من أموال فارس، فأخبره بما حمل منها إلى علي (رضي الله عنه) وما انفق منها في الوجوه التي يحتاج فيها إلى النفقة، فصدّقهُ معاوية على ما انفق وما بقى عنده، وقبضه منه، وقال: قد كنت امين خلفائنا"[٢]، وبهذا نجح المغيرة بن شعبة باقناع زياد بن ابيه بالشخوص من فارس إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان وكان ذلك سنة 42هـ/ 662[٣].

(١) الطبري: تاريخ، 5/ 177، ابن الاثير: الكامل في التاريخ، 3/211، شلبي، أحمد: الدولة الاموية والحركات الفكرية والثورية خلالها، ط7، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة 1984)، 2/42، طهبوب، صلاح: العصر الاموي، دار اسامة، (الاردن 2004)، ص11.

(٢) الطبري: تاريخ، 5/178، طهبوب: العصر الأموي، ص11.

(٣) اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب البغدادي (ت٢٩٢هـ): تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور، ط٢، دار الكتاب العلمية، (بيروت ٢٠٠٢)، ١٥٢/٢، الطبري: تاريخ، ١٧٦/٥-١٧٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢١٠/٣-٢١١.

المطلب الثالث

دوره في التصدي للخوارج

عندما قدم المغيرة بن شعبة إلى الكوفة والياً عليها سنة 41هـ/661م كانت احوالها وقتئذ هادئة الى حدٍ ما وذلك لأن خصوم الدولة فيها من الخوارج والشيعة كانوا يلتزمون الهدوء والسكون ولا تتعدى نشاطتهم من القول إلى الفعل في تلك المدة، ولكن اختيار الخليفة معاوية كان موفقاً عندما بعث إلى الكوفة برجل لطالما رفدت قبيلته ثقيف الدولة العربية الاسلامية بالعديد من القادة والولاة الأكفاء.

اتسمت سياسة المغيرة بن شعبة في الكوفة بالرفق واللين"... فأحب العافية واحسن في الناس السيرة ولم يفتش اهل الأهواء عن اهوائم، وكان يؤتى فيقال له: إن فلاناً يرى رأي الشيعة، وإن فلاناً يرى رأي الخوارج، وكان يقول: قضى الله ألاتزالون مختلفين وسيحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، فأمنهُ الناس"(١)، ولم يكن يعرض لخصوم الدولة بخير ولا شر إذا ما التزموا الهدوء والسكون.

وبهذه السياسة الحكيمة التي سار عليها المغيرة بن شعبة هدأت الكوفة والتزم الخوارج السكون في بداية ولايته"... وكان الخوارج يلقي بعضهم بعضاً، ويتذاكرون مكان إخوانهم بالنهروان"(٢)، ولكنهم لم يستطيعوا البقاء على حال الدعة والهدوء فخرجوا على المغيرة بن شعبة سنة 43هـ/663، فيروى أن قبيصة بن الدمّون أتى المغيرة بن شعبة– وكان على شرطته – فأخبره أن الخوارج اجتمعوا في منزل حيّان بن ظبيان السُّلمي يريدون الخروج إليك، فبعث المغيرة بن شعبة قبيصة بن الدمون إلى دار حيان بن ظبيان فحاصره وقبض على حيّان ومن معه وأتى بهم إلى المغيرة فحبسهم المغيرة بن شعبة(٣)، ثم خرج صاحبهم المستورد بن عُلّفة(٤)، واتخذ داراً

(١) الطبري: تاريخ، 5/174، ابو النصر، عمر: معاوية بن أبي سفيان وعصره، المكتبة الاهلية، (بيروت 1962)، ص107، الخضري، الشيخ محمد: الدولة الأموية، تحقيق: ابراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، (القاهرة د.ت)، 1/413.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/١٧٤.

(٣) الطبري: تاريخ ٥/١٨١–١٨٢.

(٤) اليعقوبي: تاريخ، ٢/١٥٣.

بالحيرة فبعث إلى إخوانه فبدأوا يختلفون إليه حتى إذا اجتمع إليه نفرٌ منهم خرجوا من الحيرة واتجهوا نحو دار سُليم بن محدوج العبدي(١)، "... فبلغ المغيرة بن شعبة أن الخوارج خارجةٌ عليه في أيامه تلك وإنهم قد اجتمعوا على رجل منهم، فقام المغيرة بن شعبة في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فقد علمتم أيها الناس أني لم أزل احبُّ لجماعتكم العافية واكفَّ عنكم الأذى وأني والله خشيتُ أن يكون ذلك أدب سوء لسفهائكم، فأما الحُلماء الأتقياء فلا، وايّمُ الله، لقد خشيتُ ألا أجدُ بداً من أن يعصب الحليم التقي بذنب السفيه الجاهل، فكفّوا أيها الناس سفهاءكم قبل أن يشمل البلاء عوامّكم، وقد ذُكر لي أن رجالاً منكم يريدون أن يظهروا في المصر بالشقاق والخلاف، وأيّم الله لا يخرجون في حيٍّ من أحياء العرب في هذا المصر إلا أبدتهم وجعلتهم نكالاً لمن بعدهم، فنظر قومٌ لأنفسهم قبل الندم، فقد قمت هذا المقام إرادة الحجة والإعذار"(٢)، فقام إليه معقل بن قيس الرياحي وأشار عليه أن يكفيه كل امرءٍ من الرؤساء قومه، فبعث المغيرة إلى رؤساء الناس،"... ثم قال لهم: إنه قد كان من الامر ما قد علمتم، وقد قلتُ ما قد سمعتم، فليكفيني كلَّ امرئ من الرؤساء قومه، وإلا فوا لذي لا إله غيره لأتحولنَّ عمَّا كنتم تعرفون إلى ما تنكرون، وعما تحبون إلى ما تكرهون فلا يلمُ لائم إلا نفسه، وقد أُعذر من أنذر، فخرجت الرؤساء إلى عشائرهم، فناشدوهم الله والإسلام إلا دلّوهم على من يرون أنه يريد أن يُهيّج فتنة"(٣)، فخشى الخوارج أن يؤخذوا في عشائرهم فخرجوا من دار سُليم بن محدوج واجتمعوا حتى أصبح عددهم ثلاثمائة رجل، فبعث إليهم المغيرة بن شعبة معقل بن قيس على رأس ثلاثة آلاف رجل(٤)، فكان القتال بينهم سجال حتى دعا قائدهم المستورد بن علّفة معقل بن قيس للمبارزة وقال معقل حين خرج: إن هلكت فأميركم عمرو بن محرز بن شهاب، فقتل كلٌ منهم صاحبه، فأخذ الراية عمرو بن محرز وقال: "إن

(١) الطبري: تاريخ، ١٨٤/٥.
(٢) الطبري: تاريخ، ١٨٤/٥، الخضري: الدولة الأموية، ٤١٤/١.
(٣) الطبري: تاريخ، ١٨٤/٥-١٨٥، الخضري: الدولة الأموية، ٤١٤/١.
(٤) الطبري: تاريخ، ١٨٦/٥-١٨٨.

قتلت فعليكم أبو الرواغ فإن قتل أبو الرواغ فأميركم مسكين بن عامر بن أنيف... ثم شدَّ برايته وأمر الناس أن يشدوا عليهم فما لبّثوهم أن قتلوهم"[١].

لم تكن سياسة اللين والرفق التي اتبعها المغيرة بن شعبة أثناء ولايته على الكوفة تصلح في جميع المواضع فكان ليّنا في المواضع التي يصلحها اللين ويشتد في المواضع التي تصلحها الشدة ومنها موقفه هذا من حركة الخوارج، وهم المعارض الأول للدولة.

(١) الطبري: تاريخ، ١٨٨/٥-٢٠٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢١٧/٣، الخضري: الدولة الأموية، ٤١٥/١-٤١٧.

المطلب الرابع

دوره في التصدي لحجر بن عدي وغيره من المعارضين

كان المعارض الثاني للدولة الأموية في الكوفة بعد الخوارج هم أنصار الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وشيعته، وقد استخدم المغيرة بن شعبة معهم حكمته وذكاءه وذلك أنهم لم يخلدوا إلى الهدوء بشكل مستمر، فحدث أنه لما تولى المغيرة بن شعبة الكوفة"... فصعد المنبر يوم الجمعة ليخطب فحصبه حجر بن عدي وكان من شيعة علي في نفر من أصحابه فنزل مسرعاً من المنبر ودخل قصر الأمارة وبعث إلى حجر بخمسة آلاف درهم ترضّاه بهم، فقيل للمغيرة: لِمَ فعلت هذا وفيه عليك وهنٌ وغضاضة؟ فقال: قد قتلته بها"[١]، وحقاً حدث ما توقعه المغيرة فبعد وفاته وإلحاق ولاية الكوفة مع ولاية البصرة لزياد بن أبي سفيان قام حجر وأصحابه بالعمل نفسه مع خليفة زياد بن أبي سفيان على الكوفة عمرو بن حريث العدوي فجاء زياد بن أبي سفيان مسرعاً من البصرة وقبض على حجر بن عدي وبعض اصحابه واشهد عليهم الشهود ثم أرسلهم والشهود إلى الخليفة معاوية بن ابي سفيان في دمشق، ونصح الخليفة أن تقتل الفتنة في مهدها، فقتل بعضهم وأطلق البعض الآخر، وكان حجر من الذين قتلوا[٢].

لقد أحسن المغيرة بن شعبة بإتباعه أسلوب الحكمة والروية والرفق في ولايته على الكوفة فثبّت المدينة واقرَّ السلطان وامتدحه أهلها لأنه كان من أحسن الولاة الذين ساسوا الكوفة فاستطاع أن يضمن الطاعة لأمير المؤمنين بأقل ما يمكن من الضحايا والدماء، وإذا ما قورن زياد بالمغيرة رجحه المغيرة، فالأخير حقق الهدف الذي حققه زياد بضحايا أقل وذلك هو مقياس حكمة ودهاء الرجال[٣].

وفي ختام الحديث عن دور المغيرة بن شعبة في قيام الدولة الأموية وتثبيت أركانها كان لا بدَّ أن أُشير إلى ما ورد في كتب التاريخ عن دور المغيرة بن شعبة

(١) الدينوري: الأخبار الطوال، ص329.
(٢) الدنيوري: الأخبار الطوال، ص329-330.
(٣) شلبي: الدولة الأموية، ٢/٤٣-٤٤.

في فكرة توريث الخلافة ليزيد بن معاوية وهي مسألة وقع الخلاف فيها، والرواية التي أوردتها المصادر أن الناس بايعوا يزيد بن معاوية بولاية عهد أبيه وكان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة بن شعبة عندما أراد الخليفة معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه) أن يعزله ويستعمل بدله سعيد بن العاص فشخص إلى معاوية متقرباً بهذه المشورة إليه فثبّته على عمله، بعد أن اخبره المغيرة أنه سوف يكفيه أهل الكوفة وأن زياد يكفيه أهل البصرة وأن ليس بعد هذين المصرين أحد يخالف معاوية[١].

هذا ملخص الرواية التي وردت بهذه المسألة فكانت محل نقد وتمحيص من قبل بعض المؤرخين ومنهم الدكتور علي محمد الصلابي الذي يقول: "أن هذه الراوية وردت في تاريخ الطبري وسندها ضعيف ولا يشجع على قبولها، كما أن المغيرة بن شعبة صحابي جليل وقد توفي عام ٥٠هـ قبل ظهور فكرة ولاية العهد عند معاوية"[٢]، وأما الدكتور يوسف العش فيقول: "إن كان المغيرة بن شعبة قد اوصى بهذه الفكرة لمعاوية أو لم يوصي، فأن فكرة ولاية العهد كانت في نفس معاوية، وماذا كان يمكن أن يتخيل في شأن ولاية العهد؟ أكان بإمكانه أن يتخيل في ذهنه أصلح من سياسته العملية نفسها؟ فهو يعتقد أن الشام يجب أن يبقى مركز الخلافة، لأن اهل الشام اطوع للخليفة من اهل الامصار الأخرى، ثم لأن السياسة العملية التي يمثلها الشام يجب أن تبقى سياسة الحكم والخلافة، لأنها السياسة التي ظهر له صلاحها في وضع العرب والمسلمين انذاك"[٣].

ويروى أن معاوية بن ابي سفيان سأل يوماً يزيد عما يتمناه "... اجابه بأن يعفيه الآن لكن معاوية أصرَّ، فقال له يزيد: اسأل وأطال الله عُمَر أمير المؤمنين أن

(١) الطبري: تاريخ، 5/301-302، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 3/249، أبن كثير: البداية والنهاية، 4/564.

(٢) الصلابي، الدكتور علي محمد: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، (بيروت ٢٠٠٥)، ١/٤١١-٤١٢.

(٣) العش، الدكتور يوسف: الدولة الأموية والاحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، ط2، دار الفكر، (دمشق 1985)، ص161.

اكون ولي عهده من بعده، فأنه بلغني أن عدل يوم في الرعية كعبادة خمسمائة عام، فقال: قد اجبتك إلى ذلك"[١].

هذه الرواية التي أوردها أبن كثير توضح أن يزيد كان وقتئذ فتًى مما يدل على أن أمر ولاية العهد ليزيد كان في نفس الخليفة معاوية منذ زمن مبكر وهو ما ذهب إليه الدكتور السيد عبدالعزيز سالم إذ يقول: "... وبتنازل الحسن عن الخلافة اصبح معاوية خليفة للمسلمين بإجماع الامصار الاسلامية ومنذ هذه اللحظة أخذ يعد العدة لحصر الخلافة في البيت الأُموي وجعلها وراثية"[٢].

يتبين مما أوردناه أن كون المغيرة بن شعبة هو صاحب فكرة توريث الخلافة ليزيد بن معاوية مسألة غير محسومة من قبل المؤرخين القدامى والمحدثين، وأن الخليفة معاوية بن أبي سفيان لم يكن بحاجة إلى من يذكّره بأمور الخلافة والحكم لخبرته الطويلة ومعرفته باغوار السياسة ومصلحة الناس العامة، كما إن الصاق مسألة كهذه بشخصية صحابي جليل كالمغيرة بن شعبة من أجل هدف دنيوي كالولاية أمرٌ لا يسوغه العقل والمنطق، هذا من جهة ومن جهة أخرى فأن المغيرة بن شعبة كان قد اعتمد سياسة عقلانية هادئة وعالية المستوى، وهذا ما ينسجم تماماً مع سياسة وتوجيه الخليفة معاوية بشكل عام، الأمر الذي يستبعد معه عزم الخليفة معاوية على عزله أو إقصائه من منصبه، ومما يؤكد ذلك مدح أهل الكوفة وإطرائهم على واليهم المغيرة ورضائهم عنه وإعجابهم به[٣].

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، 4/565.
(٢) سالم، الدكتور السيد عبدالعزيز: تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، (مصر 1989)، ص325-326.
(٣) الطبري : تاريخ ، ١٧٤/٥ ، العش : الدولة الأموية ، ص١٤٥ .

الخاتمة

لقد اتضح من خلال دراسة موضوع بحثي الموسوم (المغيرة بن شعبة ودورهُ في قيام الدولة الأموية وتثبيت اركانها)، أن المغيرة بن شعبة كان من قلائل الرجال الذين اتصفوا بالصفات التي أهلته ليكون موضع ثقة منذ إسلامه سنة ٥هـ /٦٢٦م وحتى وفاته سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م، فكانت توكل له المهام الكبيرة منذ عهد النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين من بعده حتى وفاته في عهد الخليفة الأول للدولة الأموية معاوية بن أبي سفيان، ولاسيما المهام التي تحتاج إلى الحكمة والذكاء والفطنة والرأي، فكان ممن اعتمد عليهم معاوية بن ابي سفيان – مؤسس الدولة الأموية – في قيام الدولة وتثبيتها، فكان له دور في اقناع زياد بن ابي سفيان بالشخوص الى الخليفة معاوية، كما تصدى لاعداء الدولة الأموية كالخوارج والشيعة واتبع سياسة الرفق واللين في ادارته لولاية الكوفة في العراق التي كانت محط قلق لدى الخلفاء، فأستخدم اللين والرفق من غير ضعف والشدة من غير عنف فحبه للعافية لم يمنعه من موقف القوة والحزم في مواجهة حركة الخوارج في عهده فضبط المدينة وثبّت السلطان، واما الرواية التي تقول بأنه صاحب فكرة توريث الخلافة ليزيد بن معاوية من أجل منصب دنيوي فهي مسألة غير محسومة لدى المؤرخين ولا يقبلها المنطق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

قائمة المصادر والمراجع

أولاً – المصادر الأولية :

* ابن الأثير، أبي الحسن علي بن عبدالواحد الشيباني (ت630هـ):

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، (ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003).

٢- الكامل في التاريخ، (بيروت: دار الفكر، 1978).

* البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ):

٣- فتوح البلدان، تحقيق: عبدالقادر محمد علي، (بيروت: دار الكتب العلمية،2000).

* ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ):

4- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

* ابن حجر، شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ):

5- الإصابة في تمييز الصحابة، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

* ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠هـ):

٦- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: الدكتور مصطفى نجيب فواز والدكتورة حكمت كشلي فواز، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥).

* الدينوري، أبي حنيفة احمد بن داود (ت٢٨٢هـ):

7- الأخبار الطوال، تحقيق: الدكتور عصام محمد الحاج علي، (بيروت: دار الكتب العلمية،٢٠٠١).

* الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ):

8- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005).

٩- سير أعلام النبلاء، تحقيق: خيري سعيد، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت).

* ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠هـ):
١٠- الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، د.ت).
* السمعاني، عبدالكريم بن محمد بن منصور (ت٥٦٢هـ):
١١- الأنساب، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨).
* السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ):
١٢- تاريخ الخلفاء، تحقيق: وائل محمد الشرقي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨).
* الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ):
13- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط4، القاهرة: دار المعارف، د.ت).
* ابن عساكر، علي بن حسن بن هبة الله الشافعي (ت571هـ):
14- تاريخ دمشق الكبير، تحقيق: أبي عبد الله علي عاشور الجنوبي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001).
* ابن العماد، عبدالحي بن احمد بن محمد الحنبلي (ت1089هـ):
15- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (بيروت: دار ابن كثير، 1986).
* ابن قتيبة الدنيوري (ت276هـ):
16- المعارف، تحقيق: محمد اسماعيل عبدالله الصاوي، (مصر: المطبعة الإسلامية، 1934).
* ابن قنفذ، ابو العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت809هـ):
17- الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، (بيروت: الكتب التجاري، 1971).
* ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (774هـ):
18- البداية والنهاية، تحقيق: مصطفى بن العدوي، (القاهرة: دار ابن رجب، 2005).

* ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله البغدادي (ت٦٢٦هـ):

١٩- معجم البلدان، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

* اليعقوبي، احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب البغدادي (ت292هـ):

٢٠- تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور، (ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002).

ثانياً – المراجع الثانوية:

* الخضري، الشيخ محمد:

1- الدولة الأموية، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت).

* سالم، الدكتور السيد عبد العزيز:

2- تاريخ الدولة العربية، (مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 1989).

* شبلي، احمد:

3- الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها، (ط7، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1984).

* الصلابي، الدكتور علي محمد:

٤- عمر بن الخطاب شخصيتهُ وعصرُهُ، (بيروت: دار أبن كثير، ٢٠٠٥).

٥- الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٥).

* طهبوب، صلاح:

٦- العصر الأموي، (الأردن: دار اسامة، ٢٠٠٤).

* العش، الدكتور يوسف:

٧- الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، (ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥).

* أبو النصر، عمر:

٨- معاوية بن أبي سفيان وعصره، (بيروت: المكتبة الأهلية، 1962).